مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١ — مجرد

لقيته في مكتبة كان من عادتي أني أرتادها كل يوم فألبث فيها ساعة أو نحوها كما يرتادها غيري من المشتغلين بالأدب والواغلين عليه، ومن أهل العلم والأدعياء فيه، فيقلبون المكتبة إلى ناد أدبي، أو قاعة للجدل والمناظرة، فلا يكون حظ صاحبها المسكين من تجارته إلا الكلام، تتلى به أذناه، وجيبه من المال خال ... وهل عاش قط وراق على أديب؟ ومتى كان عند الأدباء مال حتى يشتروا؟ إن الناس بين رجلين: رجل يحب الكتب ولكنه لا يجد ما يشتريها به، ورجل عنده مال ولكنه لا يحب الكتب. فيا بؤس الوراقين بين هذين الرجلين!

لقيته ولم يكن لي شرف معرفته، فنسبوه إليّ وعرفوني به: (الأستاذ فلان) فقلت الكلمة التي يضطرني النفاق الاجتماعي إليها: «تشرفنا» كأننا كنا قبل لقائه على غير شرف ... وانتظرت منه أن يتكلم لأضمه في منزلته؛ وقديماً قال من لست أدري من هو: «إنك لا تعرف منزلة الرجل حتى يتكلم، فإذا تكلم رفعته أو وضعته» أو ما هذا معناه فما أحفظ الكلمة على أصلها ... ولم يطل الرجل بحمد الله انتظاري، وراح يلقي كلاماً أقرّ على نفسي بأني لم أفهم منه حرفاً، اللهم إلا كلمات تتردد فيه لها في أفرادها معان، وليس لها في جملتها معنى، من أمثال: «الوعي الطبقي» و«التقدمية واللاتقدمية»، وطفق يسرد أسماء أفرنجية لها أول وليس لها آخر، ثم قفز قفزة إلى التاريخ، فعاب علينا أننا نكتب في التاريخ، ونؤلف الكتب عن أبي بكر وعمر، وساق في ذلك كلاماً على نحو كلامه الأول، ثم جاء بالطامة فقال بأن سورة (الناس) ليس فيها من بلاغة القول شيء، وزعم أن كاتباً من أبلغ كتاب العربية في هذا العصر (ذهب مغفوراً له) قال: لو أن تلميذاً كتبها لي في امتحانه لأعطيته الصفر[1]...

فلم أعد أطيق على وقاحته وجهالته صبراً. وللمرء أن يتكلم في الأدب أو في النقد، ويطيل أو يقصر، ويمرض جهله أو علمه، وسفاهته أو تهذيبه، فالناس يميزون الخبيث من الطيب ويعرفون الحق من المبطل؛ وما كل من قال كلاماً كان بليغاً، ولا كل من أمسك بقلم ونشر كلاماً في مجلة، كان ناقداً أو كاتباً ... أما أن يتكلم امرؤ في الدين بلا علم ولا هدى، وبغير بينة ولا دليل فلا ... ثم لا!

تركته يوقد نار حماسته في كذبه، حتى إذا ظنها استحالت جمرة متقدة ألقيت عليها دلو ماء فقلت له:

— هل تسمح يا سيدي بسؤال: كيف عرفت أن سورة (الناس) ليس فيها من البلاغة شيء، مع أن علماء هذا الفن ومن هم المرجع فيه والحجة قالوا غير ما تقول؟

قال: لأن للبحتري شعراً لا شك (عندي) أنه أبلغ منها

قلت: أئن كان للبحتري شعر أبلغ من شعر المري مثلا كان شعر المري خالياً من البلاغة؟ ثم من قال لك إن شعر البحتري أبلغ من سورة الناس؟

دميات بحتويات كذبت على نفسي وعلى الله ... فكيف تريدوني أن أقول؟

صفعة على القفا، علمت الآن، أجدى في مناقضة أولئك «الآدميين» من كل ذلك النقاش والحوار

***

قال ابن أبي ربيعة:

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وقال المثل المصري: «من أعجبه جسمه عراه، ومن أعجبه صوته علاه»

ورأينا نحن مصداق هذا وذاك على شاطئ الاسكندرية، ولا نزال نراه في كل معرض جمال

فهنا لا تلبس المرأة شيئاً ولا تخلع شيئاً إلا لتبدي حسناً وتستر عيباً. وهنا بحر زاخر لمن ينظرون على مذهب التدخين، ومن ينظرون على مذهب الفاكهة والطعام، ومن ينظرون على مذهب الجسم الجميل كما يبناه، رفيعاً جداً فوق مذهب المدخنين ومذهب الآكلين، ورفيعاً جداً فوق مذهب الجسم النافع والجسم اللذيذ.

عباس محمود العقاد

---

(١) وذلك كذب على الكاتب رحمه الله، لأن من يقول هذه الكلمة لا يكون كاتباً ولا أديباً ولا شم رائحة الأدب ...

قال : لأن البلاغة فيه أظهر !

قلت : ما هي البلاغة (عندك) ؟

قال : هي أن يكون الكلام بليغاً ...

فكان الضحك عاماً مجلجلا !

* * *

ولقيت هذا المجدد كرة اخرى فلم يقل شيئاً ، لأنه قال كل ما يحفظ في المرة الأولى ، ثم لم ألقه بعد أبداً !

٢ — أوربي

فلان ... من أسرة دمشقية أصيلة ، ولكنه أقام في أوربة سنين عايش فيها القوم ، فظن أنه حين أساغ في حلقه طعامهم ، وأدار في فمه لسانهم ، قد صب في عروقه دماً من دمائهم ، ووضع في رأسه دماغاً من أدمغتهم ، فاستقر في رأسه أنه أوربي ولكن النطفة أخطأت طريقها فكانت شرقية فلما عاد من أوربة ودخل علينا — وكنا يومئذ تلاميذ وكان هو أستاذنا — استقبلناه استقبال التلاميذ المخلصين أستاذهم الذي غاب عنهم سنين بعد ما اتصل حبله بحبالهم وأحبوه وأحبهم ورحبنا به فنظر إلينا نظر المتكر ، وقلب شفتيه اشمئزازاً[1] ولوح بيديه على طريقة أهل باريس ، وقال لنا بالفرنسية (ما ترجمته بالحرف) :

— ما هذا ؟ أهكذا يكون الاستقبال ؟ إنكم يا أهل الشرق لا تتمدنون أبداً . ولقد رأيت اليوم ما كنت أسمعه ... فياليتني لم أسافر إلى الشرق !

« دمشق » علي الطنطاوي

(١) وفي العربية كلمة (أدلم) إن اصطلح عليها دلت على هذا المعنى

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعي

للاستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

في مصر الاسلامية

سياسة العرب المالية في مصر

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الوالي يُعيَّن من قبل الخليفة لينوب عنه في حكم البلاد ، وهو الرئيس الأعلى للقضاء والصلاة والخراج والجند والشرطة وما إليها من مهام الدولة . وكان يستعين في إدارة البلاد بطائفة من كبار الموظفين وأهمهم ثلاثة : عامل الخراج أو صاحب بيت المال ، والقاضي ، والقائد أو صاحب الشرطة . وكانت وظيفة الخراج أهم هذه الوظائف الثلاث

وكان الوالي يحتفظ بها لنفسه ؛ وربما أسندها الخليفة إلى رجل من قبله فيعمل هذا مع الوالي جنباً إلى جنب : هذا يدير دفة السياسة . وذاك يتولى أعمال الدولة المالية . فكان بمثابة الرقيب على أعمال الوالي ، فكأن مصر إذ ذاك كان يحكمها واليان من قبل الخليفة مما أدى إلى تنازع السلطة والمنافسة بين الرجلين : وذلك مما يعلل قصر عهد الولاة وعمال الخراج ، وبهذا خسرت مصر تحت حكمهما أكثر مما كانت ترجوه من التقدم في سبيل الاصلاح .

كان القضاء والصلاة من الأمور الجوهرية التي تناولها هذا التغيير في النظم الادارية في عهد الاسلام لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالدين ، وهو مصدر الحكم في الاسلام .

أما عن الخراج فقد سار عمرو بن العاص مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل في النقصان والزيادة مما اضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد في دفعه . ذلك أن عمرا حين جبى خراج مصر في السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر ، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً في السنة التالية ، وذلك